160 708

المنطق والموازين القرآنية

قراءة لكتاب القسطاس المستقيم للغزالى

محمد مهران رشوان

ـ من مواليد سوهاج ، مصر ، ١٩٣٩ .

ـ ماجستير الفلسفة ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، ١٩٦٧

موضوع " **فكرة الضرورة المنطقية** " .

ـ دكتوراه الفلسفة ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، ١٩٧٤

موضوع " **منهج التحليل عند برتراند رسل** " .

ـ أستاذ المنطق ومناهج البحث العلمى ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة .

ـ رئيس قسم الفلسفة ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة .

أهم المؤلفات المنشورة : ـ

ـ فلسفة برتراند رسل .

ـ مدخل إلى المنطق الصورى .

ـ تطور المنطق العربى (مترجم) .

ـ فلسفة الرياضيات .

ـ مقدمة فى المنطق الرمزى .

ـ مدخل لدراسة الفلسفة المعاصرة .

BRS

المنطق والموازين القرآنية

قراءة لكتاب القسطاس المستقيم للغزالي

أ. د. محمد مهران

Türkiye Diyanet Vakfı
İslâm Araştırmaları Merkezi
Kütüphanesi
Dem. No: 140708
Tas. No: 160 MEH.M

المعهد العالمي للفكر الإسلامي
القاهرة
١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م

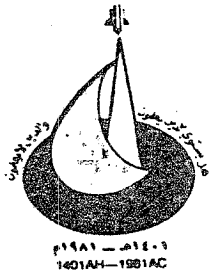

الطبعة الأولى
١٤١٧هـ/١٩٩٦م

الكتب والدراسات التي يصدرها المعهد
تعبر عن آراء واجتهادات مؤلفيها

(سلسلة أبحاث علمية ؛ ١٣)

© ١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م
جميع الحقوق محفوظة

المعهد العالمى للفكر للإسلامى
٢٦ب ش الجزيرة الوسطى – الزمالك – القاهرة – ج.م.ع .

بيانات الفهرسة أثناء النشر – مكتبة المعهد بالقاهرة .

مهـــران ، محمـــد .
المنطق والموازين القرآنية : قـــراءة لكتاب القسطـاس
المستقيـــم للغـــزالى / محمـــد مهـــران . ــ ط١ . ـ القاهرة :
المعهد العالمى للفكر الإسلامى ، ١٩٩٦ .
٦٢ص ؛ سـم . ــ (سلسلة أبحاث علمية ؛ ١٣)
يشتمل على إرجاعات ببليوجرافية .
تدمك ١ – ٨٦ – ٥٢٢٤ – ٩٧٧
١ – الفلسفة الإسلامية أ– العنوان .
ب– (السلسلة) .

رقم التصنيف : ١٨٩,٣ .
رقم الإيـــداع : ١١٠٦٣ / ٩٦ .

المحتويـــات

الموضـــوع الصفحـــة

المقدمة ٧

الفصل الأول : المنطق فى ثوبه الإسلامي ١١
١ – لماذا يدافع الإمام الغزالى عن المنطق ١٣
٢ – المنطق بأسمائه واصطلاحاته الجديدة ١٦
٣– القياس فى " القسطاس المستقيم " ٢٠
٤ – ميزان القرآن وميزان الشيطان ٢٣
٥ – القسطاس المستقيم ميزان المعرفة ٢٦

الفصل الثانى : موازين القرآن الخمسة ٣١
١ – مقدمـــة : ٣٣
٢ – معيار الصدق والكذب ٣٣
٣– موازين الأثقال والأقيسة المنطقية ٣٦
٤ – أنواع الموازين ٣٩
٥ – ميزان التعادل ٤١

مقدمة

لم تمض سنوات قلائل من القرن الأول الهجرى حتى انطلق العرب من شبه جزيرتهم ينشرون دعوة الإسلام عند الأمم المجاورة ، وسرعان ما تفتحت أمامهم أبواب البلدان ، وانطوت تحت رايتهم أقوى الشعوب وأكبر الأقطار ، ودخل الناس فى دين الله أفراداً وأفواجاً . وما كاد ينتهى هذا القرن حتى كانت دولة الإسلام ممتدة على مساحة من الأرض شملت أجزاء كبيرة من قارات الدنيا الثلاث المعروفة آنذاك .

ولم يكن العرب غزاة فاتحين ، يقهرون الأمم المغلوبة ، ويطمسون معالم حضاراتها ويبيدون تراثها كحال الغزاة فى الغالب الأعم ، بل كانوا - بدافع من تعاليم دينهم - داعين إلى سبيل ربهم بالحكمة والموعظة الحسنة ، لا يكرهون أحداً على اعتناق دينهم ، فلا إكراه فى الدين ، بل وجد أهل الكتاب بوجه خاص من جانب المسلمين كل الحماية فى عقائدهم وحياتهم وممتلكاتهم .

وقد ضمت الدولة الإسلامية أمماً ذات حضارات عريقة ، وثقافات متميزة مثل فارس وبابل ومصر ، وكان التراث اليونانى قد انتقل من الأسكندرية إلى حران ثم ازدهر فى بعض المناطق المنتشرة فى بلاد الشام والعراق ، حيث حظى برعاية تامة من الشعوب الناطقة بالسريانية ، والتى كانت غالبيتها من النصارى (وخاصة النساطرة واليعاقبة) فلما فتح المسلمون تلك المناطق أصبحوا بحق الفتح ورثة هذا التراث .

وما إن استقرت دولة الإسلام حتى أظهر المسلمون رغبتهم الجارفة فى العلم والتعلم ، مدفوعين فى ذلك بدافع من دينهم الذى يحض على العلم ويجعله فريضة على كل مسلم ، فراحوا ينقلون بنهم بالغ ، ثقافات الشعوب التى فتحوها إلى لغتهم العربية ، وكانت الفلسفة اليونانية والعلوم اليونانية أساس الترجمة فى العصر العباسى والتى بلغت ذروتها فى عهد الخليفة المأمون . وكانت كتب المنطق أول ما ترجم من كتب الفلسفة اليونانية ، حيث لقى المنطق عناية خاصة بوصفة منهجاً للفكر وآلة للعلوم .

إلا أن هذه التعاليم الأجنبية الوافدة لم تلاق عند بعض السلفيين من الفقهاء المسلمين قبولاً ، فناصبوها العداء ، وحملوا عليها حملات شعواء ، فكانت الفلسفة والمنطق هدفاً لهجوم عنيف من قبل هؤلاء الفقهاء وصل إلى حد تحريم الاشتغال بالفلسفة والمنطق ، وتكفير من يعمل بها تعليماً وتعلماً ، بل وصل الأمر ببعض هؤلاء الفقهاء إلى حد استعداء السلطات الحاكمة للضرب على رقاب هؤلاء الزنادقة المارقين الذين يتعاطون المنطق والفلسفة ، وطردهم بعيداً عن دولة الإسلام . فالفلسفة - كما قال ابن الصلاح

الشهرزورى – صاحب الفتاوى الشهيرة فى تحريم الاشتغال بالفلسفة والمنطق – أس السفه ، ومصدر الحيرة والضلال .. أما المنطق فهو آلة الفلسفة ، وآلة الكفر كفر ... وقد أدت مثل هذه المواقف إلى انتشار ذلك القول المشهور : " من تمنطق فقد تزندق " ، فارتبط الاشتغال بالمنطق بالمروق عن الدين والحيد عن الطريق المستقيم .

هذا الموقف المتزمت من جانب بعض الفقهاء كاد يقضى نهائياً على وجود المنطق فى المشرق الإسلامى ، لولا أن قيد الله له بعض الشخصيات ذات المكانة الدينية الرفيعة والتأثير الفكرى الكبير ، فوقفوا يدافعون عنه بشجاعة ، ويظهرون أهميته الكبيرة لا للعلوم الفلسفية فحسب ، بل وأيضاً للدراسات الدينية نفسها . وهكذا شق المنطق طريقه إلى الدراسات الإسلامية والفقهية وراح يوطد أقدامه شيئاً فشيئاً داخل الدراسات الدينية . ورغم ما يقال عن الثمن الذى دفعه المنطق من أجل هذا الوئام بينه وبين الدراسات الدينية ، إلا أنه ضمن فى المقابل استمرار وجوده فى المشرق الإسلامى .

ونحن فى الصفحات القادمة نقف عند شخصية من هذه الشخصيات التى دافعت عن المنطق وقدمت له أسباب بقائه واستمراره فى العالم الإسلامى . وشخصيتنا هنا الفيلسوف المتكلم الصوفى حجة الإسلام أبو حامد الغزالى لنرى كيف حاول أن يرفع ذلك الفهم الخاطئ عن المنطق ، ويزيل التعارض الذى أقامه بعض المتزمتين من الفقهاء بين المنطق والدين ، وكيف استطاع الغزالى بذلك أن يحصّن المنطق داخل قلاع الدراسات الدينية نفسها .

وللغزالى – كما هو معروف – بعض الكتب التى خصصها للمنطق مثل " معيار العلم " و " محك النظر " ، ولكنه تناول قضايا المنطق فى بعض كتبه الأخرى وخاصة " مقاصد الفلاسفة " و " تهافت الفلاسفة " . إلا أن حديثنا هنا سيعطى اهتماماً خاصاً بما قدمه الغزالى من تصور للقياس المنطقى فى كتابه " القسطاس المستقيم " . وتدفعنا إلى ذلك أسباب عديدة :

أولاً : أن هذا الكتاب لم يوضع موضع التركيز فى الدراسات المنطقية سواء فى كتبنا العربية أو فى دراسات المستشرقين ، فإننا لا نجد فى لغتنا العربية شيئاً يذكر عن هذا الكتاب من حيث مضمونه ومنهجه . أما عند المستشرقين فليس هناك ما يستحق الذكر سوى عرض سوزانا ديوالد لهذا الكتاب فى مجلة الإسلام (مجلد ٩٥ (١٩٦١) ص ١٧١ – ١٧٤) والترجمة الفرنسية مع تحليل مضمون الكتاب وهو العمل الذى قام به فكتور شلحت تحت عنوان " القسطاس المستقيم والمعرفة العقلية عند الغزالى) .

ثانياً : يعرض الكتاب لمسألة لها أهمية خاصة وهى قيام القياس على دعائم دينية إذ أن مصدره – كما تصوره الغزالى – إنما يعود إلى الأنبياء عليهم السلام ، بل إنه يرى أن الذين وضعوا المنطق قبل بعثة محمد ﷺ وعيسى عليه السلام إنما استقوه من صحف إبراهيم وموسى . وهذا أمر يستحق البحث والدرس .

ثالثاً : يحاول الغزالى فى هذا الكتاب استخراج أصول القياس أو مقدماته من القرآن الكريم ، وبذلك تكون لدينا طريقة لتطبيق المنطق فى القرآن الكريم ، والتعبير عن بعض هذه الآيات القرآنية بأقيسة منطقية . وهو أمر كانت له دلالته الكبيرة بالنسبة للدراسات المنطقية فى الإسلام .

رابعاً : جاءت الطريقة التى عرض بها الغزالى مضمون هذا الكتاب غير مألوفة فى الدراسات المنطقية لدى المسلمين فقد سارت على صورة حوار جدلى بين الغزالى وشخصية أخرى لها موقفها المعارض للمنطق ، وهذه الطريقة لا تذكرنا بالطريقة الكلامية الشائعة بقدر ما تذكرنا بطريقة المحاورات الأفلاطونية بما تمتاز به من تشويق ووضوح . فضلاً عن ابتعاد الغزالى التام عن استخدام الاصطلاحات المنطقية المعروفة والاستعاضة عنها بألفاظ أخرى وضعها وضعاً لأسباب بدت له مقنعة .

ونحن إذ نقدم هذه الصفحات فى هذا الكتيب ، إنما نقدم مجرد فصل تمهيدى لعمل أكبر سنسعى – إن شاء الله – إلى إنجازه فى المستقبل القريب حتى نكمل تلك اللوحة المنطقية التى رسمها الغزالى للمنطق فى ثوبه الإسلامى ، وهو الثوب الذى كان له فضل كبير فى بقاء الدرس المنطقى فى محيط العالم الإسلامى .

وبقيت لدىَّ كلمات أقولها لك عزيزى القارئ : تلك هى محاولتى الاجتهادية فى القراءة بقدر ما أعرف عن فن القراءة . فإن لم تجدنى مجيداً ، فلربما دفعك هذا إلى إعادة القراءة ، وأكون بذلك قد حققت بعض أغراضى .

والله وحده ولى التوفيق

محمد مهران